وداع الشعر

A DIEUX A LA POESIE

للشاعر الفرنسي لامرتين

كان لامرتين من أعظم شعراء فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وهو غني عن التعريف ، وتعد آثاره الأدبية من أنفس ما أبدعه الخيال الرائع .

ومن تلك الآثار قصيدة بديعة نسج بردها يوم كان ملحقاً بمفوضية فرنسا بنابولي عام ١٨٢٠ حيث كان انهماكه في تحبير الرسائل الدبلوماسية يحول بينه وبين استرساله في قرض الشعر فأفرغ في هذه القصيدة وداعه الشعر (المترجم)

لما اعتزمت اعتزال الشعر خالجني ... موطد العزم لكن خاب تصميمي
ودعته صادقاً لكنما عرضت ... منازع الفكر تدعوني لترنيم

تأبت وهي شتى في بواعثها ... وطالما ناشدتني نظم تلحيني
هناك في ساعة حل السكون بها ... في وحدة الصمت عاد الشعر يغريني

حيث الوجود حليف النوم أجمعه ... حتى الأماني استكنت في زواياها
في غابة برزت كالطيف ثابتة ... فما تهادى نسيم في حناياها

هناك مرحلة في العمر شاردة ... كأنما النفس فيها نفس وسنان
فلا التنفس في الأحشاء منسجم ... ولا الحماس لقرض الشعر نادانى

والطير وهو الذي يُضفي ببهجته ... على الرياض سروراً بالغ الأثر
لا ينجلي ساجعاً في كل آونة ... وفي الظهيرة يهوى ظلة الشجر

فإن بدا الفجر ناغى الكون مبتهجاً ... وفي الغروب يناجي دورة الفلك
يشف تلحينه في الصبح عن طرب ... وفي المساء يناغي وحشة الحلك

ربابتي ، ساعة الهجران قد أزفت ... لك الوداع إذن من مغرم دَنِفِ
يا من تهدكِ المشجي يثير جوى ... وكم يثير وداعي بالغ الأسفِ

أني تلامس كفي منكِ ناصيةً ... ولم يزل باكياً من شجوه الوترُ
قد أقبلت ساعة التوديع مسرعةً ... فهاكِ عبرةَ ودٍّ وهي تنهمر

أيتها لعيني أن تُخفي لها أثراً ... وتلك ثائرة من راكف الشجنِ
كم دمعةٍ سكبتها النفسُ والأسفى ... فبللتْ وتراً أوفى ولم يخنِ
لم تستطع زفرات منكِ صاعدةٌ ... تجفيفها ، فمكثتْ طلاً على فَنَنِ

إن الربابة لم تُمنح مُكلَّلةً ... بالسر والناس في هذي الدنا التمسه
إلا لتسكين آلامٍ لنا انتشرت ... حيث الدموع من الآماق منبجسه

ما كل ما يرسل الأنغام مُشْجيةً ... إلا يردد آلاماً وآمالا
أما السعادة لم ينطق بها وترٌ ... بل حالف الصمت تلو الصمت أجيالا

أحلى الأغاني أغانٍ طاب مسمعها ... من بلبلٍ ناحبٍ أو شاعرٍ باكِ
تحت الظلال على قبر توسده[1] ... أعز خدنٍ يناجي روحه الشاكي

ربابتي ، أنتِ مثلي سرتِ في أثرى ... حزينةَ الصوتِ والإنشادِ والنَّغَمِ
لم تمتزجي قط بالأنغام يُنشدها ... أهل السعادةِ والإقبالِ والنعم

بخمس صفصافة في الشط عالقة ... طليقة كطيور الغاب في الأيك
أبت يدي لكِ رَبطاً كالأسير على ... أبواب قصر عظيم أو حِمى مَلِك

لم تُلهمي أبدا في أي آونةٍ ... ثوائر النفسِ تعزيزاً لذي حزب
فأنتِ قد فقتِ طهراً كل خاطرةٍ ... ولم تداعبكِ إلا نشأة الحب

(١) يلمع الشاعر إلى شعره الملهم من حزنه على عشيقته المغبر Elvire بطلة قصته (روفائيل) التي شغفته حباً في نابولي ثم قضت بعد أن صرعها مرض السل

طلب من التاجر أشياء ولكن التاجر نفى وجودها عنده . فلمحت عينا البك بعض الأصناف المطلوبة على رف من الرفوف فأشار إليها قائلاً : « أمال إيه ده ؟ » وأجاب التاجر بأن غيره دفع ثمنها وسيرسل في طلبها . وضحك صاحب السلطان ضحكة مُرَّة وهو يهز رأسه قائلاً : « هيه ... طيب ! السلام عليكم » ثم خرج وتنفس التاجر الصعداء

واتجه إلينا ذلك التاجر وقال في لهجة اعتذار : إن قريبه فلان بك الذي يتفق عليه أمره ألا يعطيه شيئاً إلا بإذن كتابي قال : « دا مسكين ضيع كل ما يمتلك في المكيفات ، اللهم احفظنا وارع عفش بيته . وهل تاب بعد كده ؟ لا ، دا صنف لا يستحق النعمة »

ومضيت وفي نفسي كلمة التاجر الأخيرة وأنا أحدث النفس قائلاً كم ذا بمصر من هذا الصنف الذي لا يستحق النعمة !

الطيف

هل قُطِّبت جبهتي يومًا لكارثة ... هوجاء عاتية من قسوة القدر ؟
كلا ، بفضلك لم أجزع لصدمتها ... ولم أبالِ بما ألقاه من خَطرِ

وأينما ذهبت نفسي سمعتُ صدًى ... من السماء لصوتٍ حين تبعثه
نفسي الغريبة فوق الأرض ما برحت ... تُصغي لما دَأب الإلهام ينفثُهُ

على الرباحيت يبدو الرقيب إذا ... لاح النهار كما لو فوقها بزغا
إذ كنتِ في صحبتي كيما أردِّدها ... نظمتُ في مدح معبودي له صِيَغا
ما كان أول إشعاعٍ يُفيق بها ... إلا وقد فتر الإنشاد أو فرغا

كم كنتِ تُلقين بالأنغام موحشةً ... على هدير حبالِ الفلك والموجِ
وقد بدا البرقُ خلاَّبًا بزرقته ... يخبو ويسطع عَبْرَ الأفق في الأوجِ

وكنتِ مثل طيور العاصفات تُرى ... محلِّقاتٍ على الأمواج في البحرِ
وكدتِ أن تلمسي من فوقها زَبَدًا ... يعلو ويهبط بين المد والجزرِ

تلك التي طالما استرعت مناظرها ... مرآي قد حالفت أنغامها نَغَما
تهدُّداتُك مع أصواتها امتزجت ... فكان رجع صدي اللحنين منسجما

وطالما ارتعشت شجواً حبائلها ... القاتمات علتها نفثتي الرخوة
تحكي ارتعاشاً عرا الأوتار من سُجن ... أنامل حرَّكت في روحها النشوة

ربابتي ! ربما ألقاكِ بعدُ ، متى ... رأيتِ يوماً نذير الموت يقتربُ
تليه غاشيةُ الأحلام موحيةً ... من السماء أموراً ما بها لَعِبُ
تكون قد بعدت عنا الحياة كما ... لو أصبحت ذِكرياتٍ عهدها الكتبُ

وإذ يعود شباب الخلق ثانيةً ... يحفه طائف حلو لنسيان
قد ينحني المرء أوقاتاً عليكِ فني ... رنينكِ العذبِ تلطيف لأحزان

وهذه الريح إذ تجري محلقةً ... من فوق أرواحنا في برزخ العدم
تهب في الفجر أحياناً مُبكِّرةً ... كما تهب بيانًا هبَّ مُختزم
وكم يروق لها إمعانها عبثاً ... بشعر ريحانةٍ أو ذقن ذي هرَم

أيها للحية هوميروس[1] تحجبها ... قُطاعةٌ من جليد عن ذوي النظر
وكأن لمع شعاع الفكر مؤتلقاً ... يعيد نوراً خبا من قبلُ في البصر

ألم يكن ملتن[1] الأعمى بذي بصر ... فكم جلا غيهباً في حومة الفِكَر ؟
ألم تحم حول عيني ملتنٍ طُرَفٌ ... من رائع الحب والآمال والصور ؟
تحكي القراشة حامت قبل أن هبطت ... على فلورا[2] التي تهوى على الأثر
يبدو وميض جناحيها كبارقةٍ ... أضاءها شَفَقٌ وضَّاء كالشرر

ربابتي ، ربما تأتين قاصدةً ... زيارتي بينما الميعاد لم يَحِنِ
فتستطين مياه البحر طافيةً ... من شاطئٍ لسواه طفو متزن
أكون قد غالبتني موجة فقضت ... على حياتي غريقاً ماؤها كفني
وغيَّب اليم صوتي تحت لُجته ... فضاع لحن شكاتي فيه من زمن
وقد نأى بي مصيري في غياهبه ... عن السموات ، إن الهجر يؤلمني
كعُشبة البحر تحت الماء شاردة ... وقد رمى الموج عظمي رمي مُمتهَنِ
على الرمال يُرى ملقًى بشاطئه ... فيا لهول رُفاتٍ هالكٍ عَفِنِ

لكنما أنتِ يا من ترسلين على ... شتى المسامع أمواجاً من الطرب
وتركبين متون الموج سابحةً ... لا ترهبين دنو الموت والعطب .
إن البعاج على متن البحار جرت[3] ... تحكيكِ من حسدٍ في موكبٍ لجبِ

(الأسكندرية)

محمد أسعد ولوية

(١) (ملتن) شاعر انجليزي (١٦٧٤ — ١٦٠٨) كفيف البصر أيضاً . ومن أشهر مؤلفاته الشعرية (الفردوس المفقود)

(٢) (فلور) إلهة الأزهار عند الرومان (٣) تقول الأقصوصة تغنى البعاج عند ما تشعر بدنو منيتها غناء ممتازاً ويستحوذ عليها الابتهاج لاعتقادها أنها مقبلة على لقاء الاله (أبولون) التي هي في خدمته

(١) تصور لنا الأقصوصة القديمة (هوميروس)

الافصاح

المعجم العربي الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى
المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة

عبد الفتاح الصعيدي
رئيس التحرير بمجمع فؤاد الأول للغة العربية